المحور الأول:**اللغة والكلام.**

يرى "بارت" أن النسق اللساني القائم على هذه الثنائية من منظور "دو سوسير" لا يستجيب ومتطلبات أنساق أخرى من الدلائل غير اللسانية كالأزياء والأطعمة والموضة وغيرها, والتي يمكن الاعتماد عليها في تفسير هذا النسق.

ومن خلال تعرض "بارت" للنظريات المتعلقة بذلك عند كل من "دو سوسير" و"يلمسليف", يقدم مفهومه لثنائية اللسان والكلام, فاللسان حسب رأيه "هو اللغة بلا كلام, وهو مؤسسة مجتمعية من القيم في الوقت ذاته", وهذا لا يعني اللغة قبل الاستعمال لأن نظرية التواضع أصلها الكلام, وهو بذلك يخلو من الفاعلية والنوايا؛ وعليه يصبح اللسان إرثا وعقدا جماعيا ليس بإمكان أي أحد أن يتدخل فيه، أو أن يغير منه, ويجب أن يخضع له, وينصاع لقواعده وقوانينه، ونظامه الكلي والذاتي والتحولي, مما يجعله مستقلا عن أي نظام آخر داخل المجتمع, وليس بالإمكان استعماله إلا بعد تعلمه, وهذا يحدث تماما عند الأطفال في تعلم اللغة، فإن أضاف إليها شيئا لا يؤخذ بعين الاعتبار, ويعد ذلك من ثغثغة الأطفال, وبهذا يضمن اللسان حدوده ومجتمعيته, وقيمه الناتجة عن العناصر المكونة له.

وإذا كان اللسان مؤسسة مجتمعية, فإن الكلام مؤسسة فردية خاصة " فالكلام هو فعل فردي للاختيار والتحقيق، وهو مكون أولا, من التركيبات التي تستطيع الذات المتكلمة بفضلها استعمال شفرة اللسان قصد التعبير عن فكرها الخاص, ثم من الإواليات النفسية الفيزيائية التي تمكنه من تجسيد التركيبات", فبتنوع الكلام يتنوع التركيب, ولا تتكرر الدلالة, وهذا ما يجعله تأليفا ذاتيا بتوقيع فردي فيما هو جماعي, وعن هذا ينتج نوعان من الفعل في اللغة، فردي جماعي، وفردي ذاتي إبداعي, ولكن بالرجوع دوما إلى المؤسسة والنظام العام الذي هو اللسان.

وهكذا تكون العلاقة جدلية بين الكلام واللسان؛ فليس بإمكان الفرد أن يتكلم خارج اللسان ولا خارج المجتمع أو الجمهور, ولا يمكن للسان أن يتجسد إلا من خلال وقائع الكلام التي تسبق وقائع اللسان, وهي السبب في تطويره " ففصل اللسان

عن الكلام هو إقرار لسيرورة المعنى", ويصبح الكلام بمثابة تنويع للأدلة المتواترة الموجودة ضمن اللسان في حدّ ذاته.

ويحاول "بارت" أن يفرق بين لعبة الكلام واللسان من خلال دلائلية اللسان اللباسي, ودلائلية اللسان الطعامي, وهذا الأخير يجسد بصورة أوضح ذلك الفرق, "فاللسان الطعامي يتكون انطلاقا من استعمال جماعي واسع, ومن كلام فرد محض فقط" فداخل اللسان الطعامي؛ أنواع المأكولات وأصنافها, والأشياء التي تؤكل والتي لا تؤكل, والمحرم منها والمحلل, والتي تحدد أيضا وفق المجتمع والرقعة الجغرافية، ومنطقة الانتماء, في حين أن الكلام الطعامي؛ هو الخاص بفرد ما, أو بأسرة ما في تهيئها للطعام والاجتماع للوجبة, وما تشتمل عليه الوجبة, وما تفضله وتختاره كل أسرة أو فرد, وما يتم إقصاؤه بالنسبة لهما حسب رغبة كل منهما.

إن زوج اللسان/ الكلام عند "بارت" يرتبط " بعنصر دال قبليا سواء كان مادة أو ماهية، والذي سيكون المرتكز الضروري للدلالة ليست التنورة في عبارة من نوع "تنورة طويلة أو قصيرة"؛ سوى دعامة للمتنوع طويل قصير؛ الذي ينتمي بأكمله إلى اللسان اللباسي, وهذا التمييز تجهله اللغة؛ لأن الصوت يعتبر دالا بشكل مباشر، ولا يمكن تجزئته إلى عنصر جامد وآخر دلالي, وهكذا سيؤدي الأمر إلى الاعتراف بثلاثة أصعدة (وليس اثنين فقط) في الأنظمة الدلائلية ", وتحتاج تلك الأنظمة السيميائية غير اللسانية, الطعام واللباس؛ إلى مادة وليس إلى كلام لأنها تقوم على مادة يتم الانتفاع بها وليس لها أصل دال على عكس اللغة البشرية .

المحور الثاني:**الدال والمدلول:**

يكوّن الدال والمدلول في منظور "دو سوسير" الدليل, ويرى "بارت"، أن هذا تصور يجانبه الصواب "إلا أن الدليل مصطلح غامض جدا بسبب تواجده في معاجم مختلفة (من اللاهوت إلى الطب), ثم يسبب تاريخه الفني (من الإنجيل حتى السبرنطيقا), لذلك يجب أن نتحدث قليلا...عن المجال المفهومي الذي يحتل فيه مكانة هي فضلا عن ذلك، وكما سنرى غير قارة".

وحسب "بارت" فإن الدليل عند الباحثين تقابله مصطلحات عديدة قد تقترب من بعضها, وقد تبتعد فتكون تارة مترادفة وأخرى متناقضة, فقد أطلقوا عليه إشارة، قرينة، أيقونا, ورمزا, وكناية تصويرية, وهذه المصطلحات تشير " جميعا إلى علاقة بين طرفين ولكن هذه السمة لا يمكن أن تميز أيّا من المصطلحات عن باقي السلسلة, وبالتالي يجب أن نعمد إلى سمات أخرى حتى يمكن العثور على تنويع أو فرق في المعنى".

إن السمات التي حددها "بارت" هي التي يمكن أن تحدد الفرق بين تلك المصطلحات, وتوجد الحدود بينها وتقوم تلك السمات على مقتضيات العلاقة بين الطرفين المحددين للدليل, وتتمثل في: استلزام التماثل النفسي بين الطرفين من عدمه، أم وجود تشابه بين الطرفين أو لا، أم أن يكون الرابط بين إشارة استجابة مباشر أولا, أم التطابق التام بين طرفين من عدمه, أم طغيان أحدهما على الآخر، أم علاقة لزوم بين الطرفين بوجود الأول يستتبع وجود الثاني أولا.

فإذا كان هذا نحو الدليل عند "بارت" فإن لسانيات "دو سوسير" تلغي تلك المصطلحات القريبة منه, فقد ألغى الرمز لخروجه عن قاعدة التطابق, وأبقى على الدليل؛ والذي يحدده بأنه " وحدة بين الدال والمدلول كما يتوحد وجه الورقة بقفاها أو حد صورة سمعية و مفهوم" وهذا التصور للمدلول حسب "إيكو" حرره "يلمسليف" من الطبيعة المادية التي كانت قائمة عند "دو سوسير" وأتباعه برسم شجرة مقابل مدلول شجرة, وإنما ينبغي التوجه عند سماع عبارة ما إلى تحديد فضاء مضموني منظم في صورة جملة من التوجيهات السياقية لقبول سلسلة من التوقعات"عن هذا الدليل الذي سيمتلك في كل مرة قيمة دلالية مختلفة.

يخلص "بارت" إلى أن الدال والمدلول يشكلان الدليل " ويشكل صعيد الدوال صعيد العبارة، ويشكل صعيد المدلولات المحتوى. ليصبح الأمر متعلقا بشكل وماهية في علم الأدلة؛ وذلك حين ينظر إلى القضية من حيث ما يلي :" عندما نكون بصدد نظام صارت مدلولاته ماهيات في ماهيات أخرى غير ماهية النظام الخاص بهذه

المدلولات (تلك هي حالة تفعيلة الأزياء المكتوبة كما رأينا آنفا), أو عندما نكون بصدد نظام من الأشياء يحتوي على ماهية غير دالة بشكل مباشر ووظيفي؛ بل تكون في بعض الأحوال نافعة فقط, إن أكلة ما تصلح للدلالة على وضعية ما لكنها تغذي أيضا" فكما يصلح الثوب للباس, والطعام للتغذية؛ فإنهما يصلحان مع ذلك لدلالة ما أيضا, قد تكون حضارة, أو تاريخا, أو جغرافية, أو ثقافة, أو عرفا اجتماعيا, أو أي شيء أخر, وكذا بالنسبة للدليل اللغوي فإنه يكون دليلا لسانيا, ودليلا دلائليا.

وتصبح الحالة اللسانية عند "بارت" ذات أصل نفعي, ووظيفي يسميها وظائف العلامات fonction signes وتشبع الوظيفة بالمعنى يصبح أدلنة Sémantisation", وهذه السميأة يكون موضوعها المفضل حسب "بارت" "النصوص التي ينتجها الخيال:إنها الحكايات والصور والتعابير, والبنيات التي تتمتع في ذات الوقت بمظهر الاحتمال وعدم يقين الحقيقة, من الممكن إذن أن أسمي السيميولوجيا مجرى العمليات الذي يمكن عن طريقه الاستمتاع بالدليل كما لو كان لوحة فنية.

وفي المحور الثالث: **التركيب والنظام**

يمثل هذا المحور المستوى التركيبي والمستوى الاستدلالي, إن محور التركيب

يقوم على النسق الخاص بكل نظام كالنسق اللباسي أو الغذائي أو اللساني، فبالنسبة لهذا الأخير تشكل الأدلة اللفظية بتعالق الألفاظ علاقة نامية يوجد كل منهما الآخر فيولده ويتولد منه خالقا بذلك متتالية لفظية تشكل خطابا, والتي تقوم حسب "دو سوسير" على صعيدين:

الأول "صعيد التركيب: وهو تأليف للأدلة يرتكز على امتداد سطري ذو بعد واحد يمثل السلسلة الكلامية, ويمكن تحليله من خلال فعل التقطيع.

والثاني صعيد التجميع من الذاكرة هو التجميع خارج الخطاب أي تجميع الألفاظ واستدعاؤها من الذاكرة, وهنا قد ترتبط وقد تشترك مع بعضها البعض", وبناء

على ذلك هنالك الاختيار على مستوى الكلمة, مثل: سفر، رحلة، ذهاب، خروج, مشتركة من حيث المعنى, واختيار آخر من حيث الصيغة سافر مسافر سفر, ولكن ما يرتبط بالكلمة أو بصيغتها شيء قد يتشابه وقد يختلف؛ كأن تفيد الصيغة التخصيص من العموم, ومن هنا يتم فعل الاختيار لغرض التجميع, ويسمي "بارت" محور التجميع بالنظام, ومحور التركيب بالمركب, ويشكلان معا محوري اللغة, مع وجوب عدم الخلط بين المركب وعلم التراكب؛ مثل علامات التعجب, ومثل آه, والتي يجب أن يستعاض عنها في السياق لأن التعجب تركيب لجواب عن مركب صامت.

ويعتمد التحليل السيميائي أو"الدلائلي في توزيع الوقائع التي جرى جردها حسب كلا المحورين ومن المنطقي الشروع بالتقطيع المركبي لأنه هو الذي يزودنا مبدئيا بالوحدات التي يجب تصنيفها أيضا في الجدول", ومن هنا يحاول بارت تحديد المقصود بالمركب والنظام.

المركب: هو تآلف متنوع من الأدلة المتواترة وتشكل فيه الأدلة المتمفصلة المثال النموذجي له, وله شكل يتمثل في التركيب مما يجعله متسلسلا متدفقا مثل الكلام, فالتنسيق هو شرط ضروري للمركب الذي يتكون من مجموعة من الأدلة المتباينة في أقسامها ودلالتها ووظائفها وفق علاقة تآلف وتتابع أو استتباع, واتصاله يجعل معناه غير قابل للإدراك إلا إذا كان متمفصلا, والتمفصل هو الذي يوفر الوحدات المكونة للنظام " فالمركب يعرف على أنه يتكون من ماهية يتم تجزيئها، ويبدو المركب – حين يتخذ شكل الكلام– نصا بلا نهاية", وللتعرف على وحداته الدالة فإنه يجب تقطيعه "بواسطة الاختيار الاستبدالي...ويتعلق الأمر بخلق تماثل اعتباطي أي جدول مزدوج في موضع ما من النص اللامتناهي؛ للتحقق مما إذا كان استبدال دال بدال يؤدي حتما إلى استبدال مدلول بمدلول, وإذا ما كان استبدال دالين يؤدي إلى استبدال مدلولين؛ فإنه من المؤكد أننا في ذلك الشطر من المركب الخاضع للاختيار إزاء وحدة مركبة".

النظـام: يعد النظـام هو المحـور الثـاني فـي اللغـة ويعتبره "بـارت" عبـارة عـن سلسلة من التداعي اللفظـي بمستوييه صـعيد الدوال والمدلولات أو الأصـوات والمعاني هذا التداعي يجب تحليلـه من خـلال مبدأي التعـارض بين صـعيد المحتوى وصـعيد الشكل ومبدأ الاختلاف بين الدال والمدلول، والـذي يبين الشبيه و مـا يختلـف عنـه, فالراء في الفرنسية في مستوى تنويع نطقها لا أثر له على المعنى, ويظل الدال واحدا والمعنى كذلك, أما في علم الأدلة فإن الأمر مختلف؛ حين تصبح الراء دلالة على انتماء الشخص الناطق بها إلى منطقة محددة من فرنسا, أو أن شخصا غير فرنسي ينطقها ولا يكون لهما مثل هذه الدلالة على الصعيد التقريري .

المحور الرابع: **التقرير والإيحاء:** Dénotation – Connotation

ركـزّ "بـارت" فـي هـذا المحـور علـى المسـتوى الـذي يـتم فيـه تقريـر الأشـياء وتعيينها, والمستوى الذي تصبح فيه تلك الأشياء ذات إيحاء, والطريقة التي بواسطتها يتم "استجلاء الإيحاءات التي تخلقها علامة من العلامات".

فـالأول يشـمل دالا ومـدلولا وعلاقـة دلاليـة لـذلك فهـو جانـب "تعيينـي Dénotation

يؤدي إلى دلالة مباشرة وواحدة", أما الثاني فيتخذ من الأول كله دالا لمدلول آخر، لتتولد عنهما معا دلالة أخرى غير مباشرة أي إيحائية Connotative, "وهذه المرتبة تتخذ من العلامة الخاصة بالمعنى المحدد بما تشمل عليه من دال ومدلول دالا لها ثم تقوم بربطـه بمدلول آخر" سواء تعلق الأمر بالأنساق غير اللسانية أو النسق اللساني الذي يزيده تعميم الدراسة السيميائية على تلك الأنساق توضيحا لمفاهيمه وبيانا لطرق اشتغاله.

فالدلالة تتطابق في أي نظام سيميائي من خلال العلاقة (ق) الرابطة بين العبارات (ع) والمضمون (ض) أو المحتوى, وبالتالي فالأمر يتعلق بتداخل نظامين, وتعلق أحدهما بالآخر رغم انفصالهما عن بعضهما البعض, وكيفما تكون " نقطة

اندماج النظام الأول في الثاني يؤدي بالتالي إلى مجموعتين متعارضتين في الحالة لأولى يصبح النظام الأول ع ق ض صعيدا تعبيريا ودالا للنظام الثاني:

2 ع ق ض

1 ع ق ض

أو بكيفية أخرى (ع ق ض) ق ض, إنها الحالة التي يسميها "يلمسليف" الدلائل الإيحائية" ولهذا المدلول الإيحائي صورتان أولهما دوال الإيحاء أو الموحيات التي تتكون من أدلة هي دوال ومدلولات مجتمعة والتي هي النظام المقرر, وقد تتعدد لغرض المدلول الإيحائي الواحد, وهذا يعني تفاوتا بين وحدات النظام الموحي ووحدات النظام التقريري؛ "الذي يدل على الأشياء ويقوم بتحديدها في مرحلة أولى وبالتالي هو تسمية لها, ولكنه يتضمن مميزاتها, والخواص التي نعرفها من خلالها انتماء تلك الأشياء إلى تلك التسمية".

أما الثانية فمدلولات الإيحاء أو الموحيات التي تتكون من أدلة النظام الأول؛ فالأمر هنا بين لغة واصفة أو اصطناعية, أو لغة إجرائية, وبين دلائلية إيحائية مختلفة عن الأولى؛ فالإيحائية تجاوز للنعوت وخرق لسيطرتها فتكون اللغة بوابة عبور للمتخيل والفكر والثقافة.